الجذور التاريخية لظهور التشيع في مصر

The historical roots of the
emergence of Shiism in Egypt

ازر عبد الكاظم اسماعيل

azir eabd alkazim 'iismaeil

azar.k1232@yahoo.com

المستخلص

لقد كانت مصر أول البلاد الأفريقية التي دخلها الجيش الإسلامي صلحاً في عهد الفتوحات الإسلامية؛ بسبب قربها آنذاك من مركز الخلافة الإسلامية، ولقد ضم هذا الجيش في صفوفه العديد من العناصر الإسلامية الشيعية البارزة أمثال المقداد بن الأسود الكندي، وأبوذرالغفاري، وأبورافع، وأبوأيوب الأنصاري، وهؤلاء ماكانوا يبطنون فكرة التشيع التي كانوا يؤمنون بها منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل أنهم كانوا يعلنون تشيعهم وموالاتهم لأمير المؤمنين(عليه السلام) جهارا، وبذلك كانت تلك الفتوحات بدايةً لبذرة التشيع في مصر، ثم بعد ذلك وفي خلافة عثمان بن عفان جاء دور كل من محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر وهما من خلّص الشيعة، إذ قدما مصر وعليها عبدالله بن سعدبن أبي سرح والي عثمان، الذي أثقل كاهل الناس بالضرائب فكان شعرهم (إحلب الدرَّ حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم) فازداد أهل مصر عيباً لعثمان وطعناً عليه، ولعب كل من محمد بن حذيفة ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر الذي زار مصر في خلافة عثمان بن عفان دوراً كبيراً في فضح سياسة الأمويين، وإظهار فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد أوغرا صدور الناس على عثمان، ودعوا أهل مصر السير إليه وخلعه فأجابوهم إلى ذلك، وبعد مقتل عثمان بن عفان بايع أهل مصر مع وفود الأمصار الإسلامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) .

خرج محمد بن أبي حذيفة من مصر ليلتحق بعلي (عليه السلام) فنصب له معاوية كميناً وقبض عليه وحبسه في الشام ثم قتله حتى لاينصر علياً (عليه السلام) ، فولى (عليه السلام)عليهم قيس بن سعد بن عبادة زعيم الأنصار الذي دعا أهل مصر لبيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) فبايع الناس، واستقامت له مصر، وانتشر التشيع بمصر إلّا أن الإمام علي (عليه السلام) عزله بعد ذلك ثم ولى مكانه محمد بن أبي بكر، وذلك لحب المصريين له، فكان له دور كبير في انتشار التشيع، ومما يدل على انتشار التشيع في مصر هو كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان عند قتل محمد بن أبي بكر وكناية بن بشر، إذ قال: أمّا بعد فإنا لقينا محمد بن أبي بكر وكناية بن بشر في جموع من أهل مصر، فدعونا هم إلى الكتاب والسنة فعصوا الحق وتهوكوا في الضلال، فجاهدناهم فاستنصرنا الله عليهم، فضرب الله وجوههم وأدبارهم.

Abstract

Egypt was the first African country that the Islamic army entered into reconciliation during the era of the Islamic conquests, due to its proximity at the time to the center of the Islamic caliphate. This army included in its ranks at that time many prominent Shiite Islamic elements such as Miqdad bin Al-Aswad Al-Kindi, Abu Dhar Al-Ghafari, Abu Rafi', and Abu Ayyub Al-Ansari, and these people were not concealing the idea of Shiism in which they believed since the time of the Messenger of God (may God bless him and his family). Rather, they were definitely declaring their Shi'ism and their allegiance to the Commander of the Faithful (peace be upon him) openly. Thus, these conquests were the beginning of the seed of Shiism in Egypt, then after That and in the caliphate of Othman bin Affan came the turn of Muhammad bin Abi Hudhayfa and Muhammad bin Abi Bakr, who were the ones who saved the Shiites, as they came to Egypt and Abdullah bin Saad bin Abi Sarh, the governor of Othman, who burdened the people with taxes, and their hair was (milk the pearls until

they are cut off, and milk the pearls until they are cut off, The people of Egypt further insulted and slandered Uthman, and Muhammad ibn Hudhayfa, Muhammad ibn Abi Bakr and Ammar ibn Yasir, who visited Egypt during the caliphate of Uthman ibn Affan, played a major role in exposing the Umayyad policy and exposing the virtues of the Commander of the Faithful (peace be upon him). People saw Othman's chest and called the people of Egypt to walk to him and depose him, so they responded to that, and after the killing of Othman bin Affan, the people of Egypt pledged allegiance to the people of Egypt along with the rest of the delegations of the Islamic regions, the Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib (peace be upon him), Muhammad bin Abi Hudhayfa left Egypt to join Ali (peace be upon him). (peace be upon him). So, Muawiyah set an ambush for him, arrested him and imprisoned him in the Levant, then killed him so that he would not support Ali (peace be upon him). Then (peace be upon him) appointed Qais bin Saad bin Ubadah, the leader of the Ansar, who called the people of Egypt to pledge allegiance to the Commander of the Faithful (peace be upon him), so the people rose and pledged

allegiance. Egypt and its actions were upright for him, and Shiism spread in Egypt, but Imam Ali (peace be upon him) removed him after that, and then Muhammad bin Abi Bakr took his place due to the Egyptians' love for him, so he played a major role in the spread of Shiism in Egypt. Abu Sufyan upon the killing of Muhammad bin Abi Bakr and the metaphor of bin Bishr where he said: After we met Muhammad bin Abi Bakr and the metaphor of bin Bishr in a crowd of the people of Egypt, so we called them to the Book and the Sunnah, but they disobeyed the truth and became delusional, so we fought them, so God helped us against them, so God struck their faces and their backs

المُقدّمة

كانت مصر أول البلدان الأفريقية التي توجهتْ إليها أنظار المسلمين وذلك لأسباب عديدة: منها قربها من عاصمة الخلافة الإسلامية، وكذلك أهمية مصر الاقتصادية وخيراتها الكثيرة، كما أنَّ المسلمين أرادوا من فتح مصر بانْ تكون قاعدة لانطلاقهم نحو المغرب العربي إضافة إلى مكانتها في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه واله)، ولأجل ذلك كلّه وغيرها من الأسباب تمّ فتح مصر صلحاً من قبل المسلمين وظهر التشيع فيها منذ دخول المسلمين إليها لينتشر بعد ذلك ولأسباب كثيرة في أغلب أنحاء مصر ولينتهي بقيام الدولة الفاطمية فيها، ومن أجل ذلك فقد شرعتُ في كتابة بحثي هذا وبعنوان (الجذور التاريخية لظهور التشيع في مصر)، ولقد قسّمته إلى مقدمة ومبحثين، المبحث الأول مكانة مصر في أحاديث رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام)، وكذلك تناولتُ فيه الأهمية التاريخية والاقتصادية لمصر عند المسلمين، وكذلك السياسة الفاسدة للولاة الأمويين في إدارة مصر، أمّا المبحث الثاني فقد تناولتُ فيه أهم العوامل التي أدت إلى ظهور التشيع في مصر والتي كان أهمها الفتوحات الإسلامية وكذلك جهود القادة المسلمين أمثال محمد بن أبي حذيفة وكذلك محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وغيرهم ومن ثم خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم يأتي دور السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، ثم ختمت بحثي هذا ببعض ما تم التوصل إليه من نتائج وكذلك المصادر التاريخية التي تناولتها في هذا البحث ومن الله التوفيق...

المبحث الأول:

أولاً: مكانة مصر في أحاديث رسول الله وأهل بيته (عليهم الصلاة والسلام):

لقد رُويتْ عن رسول الله (صلى الله عليه واله) وأهل بيته (عليهم السلام) أحاديثٌ كثيرة ذكرها الرواة عن مكانة مصر وأهلها في الإسلام، منها قوله (صلى الله عليه واله):» إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإنَّ لهم ذمة ورحما، قال ابن شهاب: وكان يقال إنَّ أم إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام منهم" وعن وعمرو بن حريث أنَّ رسول الله (صلى الله عليه واله) قال: "إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم خيراً فإنّهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله عز وجل، يعني قبط مصر» كذلك روي أنَّ رسول الله (صلى الله عليه واله) أوصى عند وفاته أنْ يخرج اليهود من جزيرة العرب وقال الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله، وكذلك قال (صلى الله عليه واله): "إذا ملكتم القبط فاستوصوا بهم فاتقوا الله في القبط، لا تأكلوهم أكل الخضر»[1].

وروي أيضاً عن عمرو بن الحمق الخزاعي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "ستكون فتنة أسلم الناس فيها، أو قال لخير الناس فيها الجند الغربي، فلذلك قدمت مصر وزاد فيه: وأنتم الجند الغربي، فهذه منقبة لمصر في صدر الملة واستمرت قليلة الفتن معافاة طول الملة لم يعترها ما اعترى غيرها من الأقطار وما زالت معدن العلم والدين، ثم صارت في

آخر الأمر دار الخلافة ومحط الرحال، ولا بلد الآن في سائر الأقطار بعد مكة والمدينة يظهر فيها من شعائر الدين ما هو ظاهر في مصر"[٢]، وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإنَّ لهم ذمة ورحماً، أو قال ذمة وصهراً فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة فأخرج منها . قال: فرأيتُ عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة، فخرجتُ منها»[٣]، وعن أم سلمة قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "الله الله في القبط، فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعواناً في سبيل الله"[٤]، وعن أبي ذر قال: سمعتُ رسول الله (صلى الله عليه واله) قال: «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإنَّ لهم ذمة ورحما»[٥]، وقال النبيّ (صلى الله عليه واله): « تغور المياه كلَّها وترجع إلى أماكنها، إلَّا نهر الأردنّ ونيل مصر والحجرات وعرفات ومنا «[٦]، وعن الشعبي أنَّ على بن الحسين أو الحسين نفسه كلم معاوية في جزية أهل قرية أم إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه واله) بمصر، فوضعها عنهم وكان النبي (صلى الله عليه واله) يوصى بالقبط خيرا [٧].

وفي سلسلة كتبه (صلى الله عليه وآله) إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام كان رد مقوقس مصر عليه يختلف تماماً عن باقي الملوك وجاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله، إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أمّا بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإنْ توليتَ فإنما عليك إثم القبط و: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلّا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ

شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[٨]، قال المقوقس: إني نظرتُ في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه . ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، وسأنظر ثم أخذ الكتاب وجعله في حق من عاج وختم عليه، ودفعه إلى جاريته[٩].

وأرسل المقوقس يوماً إلى حاطب فقال: أسألك عن ثلاث فقال: لا تسألني عن شيء إلّا صدقتُك، قال: إلى مَن يدعو محمد؟ قلت: إلى أنْ نعبد الله وحده، ويأمر بالصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة، ويأمر بصيام رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدم إلى أنْ قال: فوصفته فأوجزت، قال: قد بقيت أشياء لم تذكرها: في عينيه حمرة قلما تفارقه، وبين كتفيه خاتم النبوة، يركب الحمار، ويلبس الشملة، ويجتزي بالتمرات والكسر، ولا يبالي من لاقى من عم أو ابن عم، ثم قال المقوقس: هذه صفته، وكنت أعلم أنَّ نبياً قد بقي، وكنت أظن أنَّ مخرجه بالشام، وهناك تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في أتباعه، وأنا أظِنُّ بملكي أنْ أفارقه، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا! وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً واحداً، ولا أحب أنْ تعلم بمحادثتي إياك، ثم دعا كاتبه الذي يكتب له بالعربية، فكتب إلى النبي (صلى الله عليه وآله): بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبد الله، من المقوقس عظيم القبط: سلام عليك، أمّا بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أنَّ نبياً قد بقي، وقد كنت أظن

أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك، وأهدى المقوقس للنبي (صلى الله عليه وآله): أربعة جوار، مارية أم إبراهيم بن رسول الله، وسيرين أخت مارية، وقيسر أخت مارية أيضاً، وجارية أخرى سوداء اسمها بريرة، وغلاماً خصياً أسود اسمه مابور. وبغلة شهباء وهي دَلْدَل، وحماراً أشهب يقال له يَعْفور. وقيل وألف دينار وعشرين ثوباً، وألف مثقال ذهباً، وفرساً وهو اللَّزَّاز وأهدى إليه عسلاً من عسل نبها من قرى مصر، ومكحلة ومربعة توضع فيها، وقارورة دهن، ومقصاً ومسواكاً ومشطاً ومرآة. وقيل عمائم وقباطي وطيباً وعوداً ومسكاً، مع ألف مثقال من ذهب مع قدح من قوارير، وخفين ساذجين أسودين، وطبيباً يداوي مرض المسلمين[١٠] .

وعندما تولى أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الخلافة، أرسل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه والياً على مصر، وكتب له عهد الولاية، وجاء فيه واعلم يا محمد بن أبي بكر أني قد وليتك أعظم أجنادي في نفسي أهل مصر[١١].

وعن جندب بن عبد الله قال: والله إني لعند عليٍّ (عليه السلام) جالس، إذ جاءه عبد الله بن قعين جد كعب يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر، وهو يومئذ أمير على مصر، فقام علي فنادى في الناس: الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله) ثم قال: أمّا بعد فهذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر، وقد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدوكم

فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت، أشد اجتماعاً على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم، فكأنكم بهم قد بدؤوكم وإخوانكم بالغزو، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر عباد الله إنَّ مصر أعظم من الشام خيراً، وخير أهلاً، فلا تُغلبوا على مصر فإن بقاء مصر في أيديكم عزٌّ لكم، وكبت لعدوكم"[١٢] أي أنَّ مصر خير للمسلمين بمواردها الاقتصادية، وأهلها كشعب خير من أهل الشام، وعنه (عليه السلام) قال: "قبة الإسلام بالكوفة، والهجرة بالمدينة، والنجباء بمصر، والأبدال بالشام وهم قليل)[١٣]، وعنه أيضاً (عليه السلام) أنَّه قال: «ماء نيل مصر يميت القلب"، ويمكن أنْ يكون المراد أنَّه يذهب قسوة القلب ويحصل منه اللين والخشوع ورقة القلب فيكون مدحاً له، ويمكن حمله على الكراهة والأول على الجواز [١٤].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام"، قال: "نهران مؤمنان ونهران كافران، نهران كافران: نهر بلخ، ودجلة. والمؤمنان: نيل مصر، والفرات، فحنكوا أولادكم بماء الفرات"[١٥]، وعن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "إنَّ جبرئيل كرى برجله خمسة أنهار ولسان الماء يتبعه: الفرات، والدجلة، ونيل مصر، ومهران، ونهر بلخ، فما سقت أو سقي منها فللإمام»[١٦] .

وعن جابر الجعفي عن الإمام الباقر (عليه السلام) في حديثه عن أصحاب الامام المهدي (عليه السلام) قال: (يبايع القائم بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف عدة أهل بدر فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله أن يقيم [١٧]

عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: كأني برايات من مصر مقبلات خضر مصبغات حتى تأتي الشامات فتؤدى إلى ابن صاحب الوصيات[١٨]، وعن أحمد بن محمد الشعراني الذي هو من ولد عمار بن ياسر رضي الله عنه، عن محمد بن القاسم المصري، أنَّ ابن أحمد بن طولون شغَّل ألف عامل في البحث عن باب الهرم سنة، فوجدوا صخرة مرمر وخلفها بناء لم يقدروا على نقضه، وأنَّ أُسْقُفاً من الحبشة قرأها وكان فيها عن لسان أحد الفراعنة قوله: (وبنيت الأهرام والبراني، وبنيت الهرمين وأودعتهما كنوزي وذخائري) فقال ابن طولون: هذا شيء ليس لأحد فيه حيلة إلّا القائم من آل محمد (صلى الله عليه وآله). ورُدَّت البلاطة كما كانت مكانها[١٩]، وغيرها من الأحاديث الشريفة.

ثانياً: الأهمية التاريخية والاقتصادية لمصر عند المسلمين:

تُعدّ مصر أول البلدان الأفريقية التي توجهت إليها أنظار المسلمين عند انطلاق الفتوحات الإسلامية وذلك بسبب قربها من مركز الخلافة الإسلامية وكذلك أهميتها الاقتصادية، إذ روي أنَّ عمرو بن العاص قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين ائذن لي أنْ أسير إلى مصر، وحرضه عليها وقال: إنَّك إنْ فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم، وهي أكثر الأرض أموالاً، وأعجزها عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك، فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها، حتى ركن عمر لذلك، فعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عكّ، ويقال بل ثلاثة آلاف وخمس مائة [٢٠]، ولقد فتحت صلحاً إلّا أنَّ عمرو وغيره من المسلمين أمثال الزبير

ادعوا أنَّ مصر فُتحتْ عُنوة وذلك من أجل المكاسب المادية والاقتصادية، إذ إنَّ المدن والأراضي المفتوحة صلحاً يجب أنْ يتقيد الوالي فيها بالجزية السنوية التي نصَ عليها عقد الصلح، التي تشبه الضريبة لحماية السكان ولا يجوز للوالي أنْ يزيد عليها، أمّا المفتوحة عُنْوَةً، أي بالقوة والحرب، فتكون أراضيها وعقاراتها ملكاً للمسلمين أي للدولة، ويجوز للوالي رفع الجزية على أهلها، لأنهم مستأجرون غير مالكين لذلك حاول الولاة إثبات أنَّ فتح هذه المنطقة أو تلك كان عُنْوَةً، ليحق لهم رفع الجزية كما يحبون، ولقد أكد المؤرخون هذه الحقيقة فهذا الطبري[٢١] في تاريخه يقول: لمّا نزل عمرو على القوم بعين شمس، وكان الملك بين القبط والنُّوب، ونزل معه الزبير عليها، قال أهل مصر لملكهم: ما تريد إلى قوم فلُّوا كسرى وقيصر وغلبوهم على بلادهم صالحِ القومَ واعتقد منهم ولا تَعْرُض لهم ولا تُعَرِّضْنَا لهم، وذلك في اليوم الرابع، فأبى وناهدوهم فقاتلوهم، وارتقى الزبير سورها فلما أحسوه فتحوا الباب لعمرو وخرجوا إليه مصالحين، فقبل منهم، ونزل الزبير عليهم عنوة، حتى خرج على عمرو من الباب معهم، فاعتقدوا، بعد ما أشرفوا على الهلكة، فأجروا ما أخذوا عنوة مجرى ما صالح عليه، فصاروا ذمة.

وفعلاً تم فتح مصر صلحاً من قبل المسلمين وبقيادة عمرو بن العاص وقد روى المؤرخون نص عقد الصلح بين المسلمين والأقباط، وبسببه غضب الروم على الأقباط، فتحداهم المقوقس وأصرَّ على الصلح فقد ذكر المؤرخون إنَّ المقوقس شرط للروم أنْ يخُيَّروا، فمن أحب منهم أنْ يقيم على مثل هذا أقام على ذلك، لازماً له مفترضاً عليه، ممن أقام بالإسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها، ومن أراد الخروج منها إلى

أرض الروم خرج، وعلى أنَّ للمقوقس الخيار في الروم خاصة، حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل وكتب المقوقس إلى ملك الروم كتاباً يعلمه على وجه الأمر كله، فكتب إليه ملك الروم يُقَبِّحُ رأيه ويُعَجِّزُه ويَرُدُّ عليه ما فعل، ويقول في كتابه: إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى، فإنْ كان القبط كرهوا القتال، وأحبوا أداء الجزية إلى العرب، واختاروهم علينا، فإنَّ عندك من بمصر من الروم، وبالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف، معهم السلاح والعدة والقوة، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت، فعجزت عن قتالهم ورضيت أنْ تكون أنت ومن معك من الروم في حال القبط أذلاء، إلّا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم فناهضهم القتال ولا يكون لك رأي غير ذلك فقال له المقوقس: والله إنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا، وأنَّ الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا، وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة إلّا على قدر بلغة العيش من الطعام واللباس، ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها، واعلموا معشر الروم والله إني لا أخرج مما دخلت فيه ولا مما صالحت العرب عليه ثم قال للروم: وَيْحكم أما يرضى أحدكم أنْ يكون آمناً في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة، ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص فقال له: إنَّ الملك قد كره ما فعلتُ وعجَّزني، وكتب إليَّ وإلى جماعة الروم أنْ لا نرضى بمصالحتكم، وأمرهم بقتالكم حتى يظفروا بك أو تظفر بهم، ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه، وإنما سلطاني على نفسي ومن أطاعني، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم، ولم يأتِ من قبلهم نقض، وأنا متم لك على

نفسي، والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاقدتهم، وأمّا الروم فإني منهم برئ، وأنا أطلب إليك أنْ تعطيني ثلاث خصال. فقال له عمرو: ما هن؟ قال: لا تنقض بالقبط، وأدخلني معهم وألزمني ما ألزمتهم، وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه، فهم متمون لك على ما تحب، وأما الثانية، فإن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئاً وعبيداً، فإنهم أهل ذلك، فإني نصحتهم فاستغشوني، ونظرت لهم فاتهموني، وأمّا الثالثة، أطلب إليك إنْ أنا متُّ، أنْ تأمرهم أنْ يدفنوني في كنيسة أبي يحنس بالإسكندرية .[٢٢]

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنلْ	**به منك دنياً فانظرن كيف تصنعُ**
فإن تعطني مصراً فأربح صفقة	**أخذت بها شيخاً يضرُّ وينفع**
وما الدين والدنيا سواء وإنني	**لآخذ ما تعطي ورأسي مقنَّع**
ولكنني أعطيك هذا وإنني	**لأخدع نفسي والمخادع يُخدع**

ففتحت مصر كلها صلحاً بفريضة دينارين دينارين على كل رجل لا يزاد على أحد منهم في جزية رأسه أكثر من دينارين إلّا أنَّه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع[٢٣]، وقيل: إنَّ المقوقس لما خاف على نفسه ومن معه سأل عمرو ابن العاص الصلح ودعاه إليه على أنْ يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو إلى ذلك[٢٤].

ومن أجل ذلك فقد كان الولاة والقادة المسلمين يدركون جيداً أهمية مصر التاريخية والاقتصادية فهذا عمرو بن العاص والذي طمع بإمارتها

منذ أنْ فتحها المسلمون صلحاً، فقد روي إنَّ معاوية أرسل إليه فيما بعد وطلب منه البيعة له فقال: عمرو لا الله، لا أعطيك ديني حتى آخذ من دنياك! فقال معاوية: سلْ فقال: مصر تطعمني إياها، فغضب مروان بن الحكم وقال: ما لي لا أستشار؟ فقال معاوية: أسكت فما يستشار إلّا لك، فقام عمرو مغضباً فقال له معاوية: يا أبا عبد الله، أقسمت عليك أنْ تبيت الليلة عندنا وكره أنْ يخرج فيفسد عليه الناس، فبات عنده وقال:

فلما أصبح معاوية دخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال له: يا معاوية ما تصنع؟ أما ترضى أنْ تشتري من عمرو دينه بمصر فأعطاه إياها وكتب له كتاباً٢٥، فخرج عمرو من عنده، فقال له إبناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر طعمة قالا: وما مصر في ملك العرب قال: لا أشبع الله بطونكما إنْ لم تشبعكما مصر٢٦، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص بعد ذلك عن مصر: إنَّ البركة عشر بركات، في مصر تسع بركات وفي الأرضين بركة واحدة والشرّ عشرة أجزاء، بمصر جزء واحد، وفي الأرض كلَّها تسعة أجزاء، وكذلك ورد عنه عندما يذكر عجائب الدنيا الأربعة فيقول: وبعين شمس من أرض مصر بقايا أساطين كانت هناك، في رأس كلّ أسطوانة طوق من نحاس، يقطر من أحدهما ماء من تحت الطوق إلى نصف الأسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع قطره ليلاً ولا نهاراً، فموضعه من الأسطوانة أخضر، ولا يصل الماء إلى الأرض، وهو من بناء هوشنك٢٧.

ثالثاً: السياسة الفاسدة للولاة الأمويين في إدارة مصر:

لقد كانت سياسة الولاة ومنذ بداية الفتح لمصر قائمة على البذخ

والإسراف واستنزاف الأموال عن طريق فرض الضرائب على الشعب المصري ولقد ذكر المؤلفون ظلم الولاة الأمويين للمصريين فقد روي أنَّه لما قلد الخليفة عمر عمرو بن العاص مصر، بلغه أنَّه قد صار له مال عظيم، فكتب إليه: أمّا بعد، فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك، ولا كان لك مال قبل أنْ أستعملك، فأنى لك هذا فوالله لو لم يهمني في ذات الله إلّا من أختان في مال الله لكثر همى وانتثر أمري، ولقد كان عندي من المهاجرين الأولين من هو خير منك ولكني قلدتك رجاء غنائك، فاكتب إليَّ من أين لك هذا المال، وعجل، فكتب إليه عمرو: أما بعد، فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين، فأما ما ظهر لي من مال فإنا قدمنا بلاداً رخيصة الأسعار كثيرة الغزو، فجعلنا ما أصابنا في الفضول التي اتصل بأمير المؤمنين نبؤها، ووالله لو كانت خيانتك حلالاً ما خنتك وقد ائتمنتني . فإنَّ لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك، وذكرت أنَّ عندك من المهاجرين الأولين من هو خير منى، فإذا كان ذاك فوالله ما دققت لك يا أمير المؤمنين باباً، ولا فتحت لك قفلاً .فكتب إليه عمر: أمّا بعد، فإني لست من تسطيرك الكتاب وتشقيقك الكلام في شيء، ولكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون الأموال ولن تعدموا عذراً، وإنما تأكلون النار وتتعجلون العار! وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة، فسلم إليه شطر مالك. فلما قدم محمد صنع له عمرو طعاماً ودعاه فلم يأكل، وقال هذه تقدمة الشر، ولو جئتني بطعام الضيف لأكلت، فنح عنى طعامك، وأحضر لي مالك، فأحضره، فأخذ شطره . فلما رأى عمرو كثرة ما أخذ منه قال: لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر، والله لقد رأيت عمر وأباه على كل واحد منهما عباءة قطوانية، لا تجاوز مأبض ركبتيه، وعلى عنقه حزمة حطب،

والعاص بن وائل في مزررات الديباج، فقال محمد: إيهاً عنك يا عمرو، فعمر والله خير منك، وأما أبوك وأبوه فإنهما في النار، ولولا الإسلام لألفيت معتلفاً شاة، يسرك غزرها، ويسوءك بكؤها. قال: صدقت، فاكتم عليَّ. قال: أفعل[٢٨].

فكان عمر بن الخطاب يكتب أموال عماله إذا ولاهم، ثم يقاسمهم ما زاد على ذلك، وربما أخذه منهم . فكتب إلى عمرو ابن العاصي: إنَّه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر. فكتب إليه عمرو: إنَّ أرضنا أرض مزدرع ومتجر، فنحن نصيب فضلاً عن ما نحتاج إليه لنفقتنا . فكتب إليه: إني قد خبرت من عمال السوء ما كفى، وكتابك إلى كتاب من قد أقلقه الأخذ بالحق، وقد سؤت بك ظنا، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك. فأطلعه طلعه، وأخرج إليه ما يطالبك، وأعفه من الغلظة عليك، فإنه برح الخفاء فقاسمه ماله، وكان عمرو بن العاص يقول وهو على المنبر: لقد قعدت مقعدي هذا وما لأحد من قبط مصر على عهد ولا عقد. إن شئت قتلت، وإن شئت خمست، وإنْ شئت بعت، إلّا أهل أنطابلس فإنَّ لهم عهدا يوفى لهم به، ولقد جبى عمرو خراج مصر وجزيتها ألفي ألف، وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة آلاف ألف، فقال عثمان لعمرو: إن اللقاح بمصر بعدك قد درت ألبانها، فقال: ذاك لأنكم أعجفتم أولادها [٢٩].

وروي: انه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال: كِيلوا مالي، فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مُداً، فقال: من يأخذه بما فيه، يا ليته كان بعراً قال: وكان المد ستة عشر أوقية والأوقية منه مكوكان[٣٠]، وقدم عمرو

بن العاص على معاوية بعد فتحه مصر فعمل معاوية طعاماً فبدأ بعمرو وأهل مصر فغداهم، ثم خرج أهل مصر واحتبس عمرواً عنده، ثم أدخل أهل الشام فتغدوا، فلما فرغوا من الغداء قالوا: يا أبا عبد الله بايع قال: نعم، على أنَّ لي عُشْراً، يعني مصر ،فبايعه على أن له ولاية مصر ما كان حياً ٣١، فبلغ ذلك علياً (عليه السلام) فقال: كرَّ على العاصي بن العاصي فاستماله فمال إليه، ثم أقبل به بعد أن أطعمه مصر وحرامٌ عليه أنْ يأخذ من الفئ دون قَسْمه درهماً[٣٢].

ثم عزل عثمان عمرو بن العاص واستعمل عبد الله بن أبي سرح على خراجها، وكان أخاه من الرضاعة ، وجمع له الحرب والخراج[٣٣]، وأعطى عثمان بن عفان خمس أفريقيا لعبد الله بن أبي سرح، الذي حكم عليه الرسول (صلى الله عليه وآله) في يوم فتح مكة بالقتل، ولو كان متعلقا بأستار الكعبة ٣٤، وبعد ذلك كتب سليمان بن عبد الملك بن مروان إلى أسامة: إحلب الدرَّ حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم) [٣٥]

المبحث الثاني:عوامل ظهور التشيع في مصر:

أولاً: الفتوحات الإسلامية:

لقد ضم الجيش الإسلامي أثناء عمليات الفتح التي قام بها في مصر في صفوفه عدد من القادة الشيعة فكانوا البذرة الأولى للتشيع في مصر آنذاك فقد ذكر المؤرخون إنَّ الذين شهدوا فتح مصر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قريش وغيرهم ومن لم يكن له برسول الله (صلى الله عليه وسلم) صحبة وذكرهم جملة واحدة فقال الزبير بن العوام

وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص وكان أمير القوم وعبد الله بن عمرو بن العاص وخارجة بن حذافة العدوي وعبد الله بن عمر بن الخطاب وقيس بن أبي العاص السهمي والمقداد بن الأسود وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ونافع بن عبد قيس الفهري وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو ذر وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود[٣٦].

ولقد روى الواقدي[٣٧] حيث قال: وكانت الصحابة لما فتحت مصر والوجه البحري قد تفرقوا، فمنهم في الإسكندرية وأمسوس ودمياط ورشيد وبلبيس، وكان أكثرهم بوسط البحيرة في المكان المعروف بالمنزلة، مثل القعقاع بن عمرو التميمي، وهاشم بن المرقال، وميسرة بن مسروق العبسي، والمسيب بن نجبة، وقسم الأمير أبو عبيدة عسكر المسلمين أربع فرق، فبعث فرقة مع المسيب بن نجبة الفزاري، فنزل بهم على باب الجبل مما يلي باب الصغير، وبعث فرقة أخرى مع المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فنزل بهم على باب الرستق، وبعث فرقة أخرى مع يزيد بن أبي سفيان، فنزل على باب الشام. ونزل الأمير أبو عبيدة وخالد بن الوليد على باب الصغير . وزحف المسلمون إليهم من كل مكان وقاتلوهم بقية يومهم هذا، وسهام الروم تصل إليهم فيتلقونها بالحجف، ونبال العرب تصل إليهم والى من بأعلى السور فأثرت لأجل ذلك.

ثانياً: حركة القائدين الشيعيين محمد بن أبي حذيفة بن عتبة ومحمد بن أبي بكر:

ثم جاء دور القادة الشيعة أمثال محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة بن عتبة وكذلك الصحابي الجليل عمار بن ياسر في نشر الفكر الشيعي في مصر، فلقد خرجا محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة إلى مصر عام مخرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح إليها، فأظهر محمد بن أبي حذيفة التشيع لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وعيب عثمان وطعن عليه وقال: استعمل عثمان رجلاً أباح رسول الله (صلى الله عليه واله) دمه يوم الفتح ونزل القرآن بكفره حين قال: سأنزل مثل ما أنزل الله وكانت غزاة ذات الصوري في سنة ٣٤هـ وعليها عبد بن سعد، فصلى بالناس فكبر ابن أبي حذيفة تكبيرة أفزعه، فقال: يا أهل مصر إنا خلفنا الغزو وراءنا يعني غزو عثمان، فقال له عبدالله ما جاء بك إلى بلدي؟ قال: جئت غازياً، قال: ومن معك قال: محمد بن أبي بكر، فقال: والله ما جئتما إلا لتفسدا الناس، وأمر بهما فسجنا، فأرسلا إلى محمد بن طلحة يسألانه أن يكلمه فيهما، فأطلقهما وغزا ابن أبي سرح أفريقية، فتخلف ابن أبي بكر وتخلف معه ابن أبي حذيفة، وقد أوغرا صدور الناس على عثمان، فلما وافى ابن أبي سرح مصر وافاه كتاب عثمان بالمسير إليه، فشخص إلى المدينة وخلف على مصر رجلاً كان هواه مع ابن أبي بكر وابن أبي حذيفة، ولما سمع عثمان بإخبارهما، وما احدثا في مصر بعث إلى ابن أبي حذيفة بثلاثين ألف درهم ويحمل عليه كسوة فأمر فوضع في المسجد وقال: يا معشر المسلمين ألا ترون إلى عثمان يخادعني عن ديني ويرشوني عليه فازداد أهل مصر عيباً لعثمان وطعنا عليه، واجتمعوا إلى ابن أبي حذيفة

فرأسوه عليهم، فلما بلغ عثمان ذلك دعا بعمار بن ياسر، وسأله الشخوص إلى مصر ليأتيه بصحة خبر ابن أبي حذيفة فلما ورد عمار مصر حرض الناس أيضاً على عثمان ودعاهم إلى خلعه، وأشعلها عليه، وقوى رأي ابن أبي حذيفة وابن أبي بكر وشجعهما على المسير إلى المدينة، فكتب ابن أبي سرح إلى عثمان يعلمه ما كان من عمار، ويستأذنه في عقوبته، فكتب إليه: بئس الرأي رأيت يا ابن أبي سرح فأحسن جهاز عمار واحمله إلي، فتحرك أهل مصر وقالوا: سير عمار، ودب فيهم ابن أبي إلى المسير فأجابوه[٣٨].

وقيل: عندما طلب عثمان أمراء الأمصار سنة ٣٥م توجه عبد الله بن أبي سرح إلى عثمان خلف مكانه عقبة بن عامر بمصر فوثب محمد بن أبي حذيفة على عقبة فأخرجه من مصر وغلب عليها، وأسعر البلاد ودعا إلى خلع عثمان وحرض عليه وكان ابن أبي حذيفة كان يكتب الكتب على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في الطعن على عثمان كان يأخذ الرواحل فيحصرها ثم يأخذ الرجال الذين يريد أنْ يبعث بذلك معهم فيجعلهم على ظهور بيت في الحر، فيستقبلون بوجوههم الشمس ليلوحهم تلويح المسافر، ثم يأمرهم أنْ يخرجوا إلى طريق المدينة، ثم يرسل رسلا يخبروا بقدومهم فيأمر بتلقيهم، فإذا لقوا الناس قالوا لهم: ليس عندنا خبر، الخبر في الكتب، فيتلقاهم ابن أبي حذيفة ومعه الناس فيقول لهم الرسل: عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم الكتب من أمهات المؤمنين: إنا نشكوا إليكم يا أهل الإسلام كذا وكذا من الطعن على عثمان، فيضج أهل المسجد بالبكاء والدعاء، فلما خرج المصريون ووجهوا نحو المدينة على عثمان شيعهم محمدبن أبي حذيفة إلى عجرود ثم رجع [٣٩].

وعن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: إن المحامدة تأبي أنْ يعصى الله عز وجل قلت: ومن المحامدة؟ قال محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أمير المؤمنين، فأمّا محمد بن أبي حذيفة كان مع علي بن أبي طالب(عليه السلام) ومن أنصاره وأشياعه، وكان ابن خال معاوية، وكان رجلاً من خيار المسلمين، فما توفى عليٌّ (عليه السلام) أخذه معاوية وأراد قتله فحبسه في السجن دهراً، ثم قال معاوية ذات يوم: ألا نرسل إلى هذا السفيه محمد بن أبي حذيفة فنُبَكِّتَهُ ونخبره بضلاله، ونأمره أن يقوم فيسب علياً؟ قالوا: نعم، فبعث إليه معاوية فأخرجه من السجن، فقاله له معاوية: يا محمد بن أبي حذيفة ألم يَأْنَ لك أنْ تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك علي بن أبي طالب الكذاب ألم تعلم أنَّ عثمان قتل مظلوماً، وأنَّ عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه، وأنَّ علياً هو الذي دس في قتله، ونحن اليوم نطلب بدمه؟ قال محمد بن أبي حذيفة: إنّك لتعلم أنّي أمسُّ القوم بك رحماً، وأعرفهم بك؟ قال: أجل قال فوالله الذي لا إله غيره، ما أعلم أحداً شرك في دم عثمان، وألَّب الناس عليه غيرك، لما استعملك ومن كان مثلك، فسأله المهاجرون والأنصار أنْ يعز لك فأبى، ففعلوا به ما بلغك ووالله ما أحد اشترك في قتله بدءً وأخيراً إلا طلحة والزبير وعائشة، فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة وألبوا عليه الناس، وشركهم في ذلك عبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وعمار، والأنصار جميعاً قال: قد كان ذلك قال: فوالله إني لأشهد أنك مذ عرفتك في الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد، ما زاد فيك الإسلام قليلاً ولا كثيراً، وإنَّ علامة ذاك فيك لبينة تلومني على حب علي خرج مع علي كل صوام قوام مهاجري وأنصاري، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء

والعتقاء، خدعتهم عن دينهم وخدعوك عن دنياك، والله ما خفي عليك ما صنعت، وما خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلوا أنفسهم لسخط الله في طاعتك والله لا أزال أحب علياً لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله) وأبغضك في الله ورسوله، أبداً ما بقيت فقال معاوية: وإني أراك على ضلالك بعد ردوه، فردوه وهو يقرأ: قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلى مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ فمات في السجن[٤٠]. هذا وأنَّ علياً (عليه السلام) لما ولي الخلافة أقرَّ محمد بن أبي حذيفة على إمرة مصر، ثم ولاها محمد بن أبي بكر[٤١].

وقال الأميني[٤٢]في حقه: أترى هذا الصحابي العظيم كيف يجدّ ويجتهد في إطفاء هذه النائرة ولا يخاف فيما يعتقدانه في الله لومة لائم، غير مكترث لما بهته به العثمانيون من اختلاق الكتب على أمهات المؤمنين، وتسويد الوجوه بمواجهة الشمس، ولم يزل على دؤبه واجتهاده حتى قضي الأمر، وأزيحت المثلات، وما نبزوه به من الافتعال والتزوير هو حرفة كل عاجز، ولعله دبر في الأزمنة الأخيرة كما دبرت أمثاله في كل من الثائرين على عثمان ستراً على الحقائق الراهنة.

ثالثاً: خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام):

وبعد أنْ تولى أمير المؤمنين (عليه السلام) الخلافة ازداد التشيع في أوساط المجتمع المصري وكان قبل ذلك أن المصريين قد وسَّطوه في حل مشكلتهم مع عثمان، وكانوا يلتقون بعلي (عليه السلام) في المدينة وفي موسم الحج، ثم اتسعت العلاقة بين الإمام علي (عليه السلام) والمصريين في خلافته، وكان بعضهم يقصد الكوفة في شهر رمضان ليتعبد في مسجدها، فقد جاء عن عبد الله بن محمد الأزدي قال: "إني

لأصلّي في تلك الليلة في المسجد الأعظم، مع رجال من أهل مصر، كانوا يصلّون في ذلك الشهر من أوله إلى آخره، إذ نظرت إلى رجال يصلون في تلك الليلة في المسجد قريباً من السدة، وخرج علي بن أبي طالب (عليه السلام) لصلاة الفجر، فأقبل ينادي: الصلاة الصلاة[٤٣]، ولقد خرج محمد بن أبي حذيفة مع جماعة من الشيعة من مصر يريدون اللحاق بأمير المؤمنين (عليه السلام) وقيل: فلما وصلوا إلى معاوية قبض عليهم وحبسهم وسار إلى دمشق فهربوا من السجن فتتبعهم أمير فلسطين حتى ظفر بهم وقتلهم، فلما بلغ الخبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمصاب محمد بن حذيفة ولى على مصر قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه[٤٤]، وبعد قيس بن سعد بن عبادة تولى محمد بن أبي بكر ولاية مصر من قبل أمير المؤمنين (عليه السلام) وقيل: إنَّ أهل مصر كانوا قد طلبوا من أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك حيث أنهم كانوا قد عرفوه وأحبوه فكان له دور كبير في انتشار التشيع في مصر، ومما يدل على ذلك هو كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان عندما غزا مصر بجيش من الشام فقتل محمد بن أبي بكر وكناية بن بشر حيث قال: أما بعد فإنا لقينا محمد بن أبي بكر وكناية بن بشر في جموع من أهل مصر، فدعوناهم إلى الكتاب والسنة فعصوا الحق فتهولوا في الضلال، فجاهدناهم فاستنصرنا الله عليهم فضرب الله وجوههم وأدبارهم[٤٥]، وكذلك ما ورد من خطاب الإمام علي (عليه السلام) مستنهضاً المسلمين لمساعدة المصريين، فقد روى جندب بن عبد الله: «إني لعند علي جالسٌ إذ جاءه عبد الله بن قعين جد كعب يستصرخ من قبل محمد بن أبي بكر، وهو يومئذ أميرٌ على مصر، فقام علي (عليه السلام) فنادى في الناس: الصلاة جامعة فاجتمع الناس، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي، ثم قال: أما بعد فهذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر، وقد سار إليهم ابن النابغة عدو الله وعدوكم، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون

إلى سبيل الطاغوت، أشد اجتماعاً على باطلهم وضلالتهم منكم على حقكم، فكأنكم بهم قد بدؤوكم وإخوانكم بالغزو، فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر. عباد الله إن مصر أعظم من الشام خيراً، وخير أهلاً، فلا تُغلبوا على مصر، فإنَّ بقاء مصر في أيديكم عزٌّ لكم، وكبتٌ لعدوكم. أخرجوا إلى الجرعة لنتوافى هناك كلنا غداً، إنْ شاء الله «[٤٦].

رابعاً: رحلة السيدة زينب بنت علي (عليهما السلام) إلى مصر:

وبعد ذلك وخصوصاً بعد شهادة الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) في كربلاء يأتي دور زينب بنت امير المؤمنين (عليهما السلام) حيث يذكر بعض الكتاب إنَّ سفر السيدة زينب (عليها السلام) إلى مصر بعد فاجعة كربلاء قد زاد في قاعدة التشيع في مصر حيث يروي الكاتب المصري أحمد أبو كف[٤٧] إنَّ السيدة زينب (عليها السلام) عادت من دمشق إلى المدينة المنورة وأخذت تعتلي المنابر وتخطب بالناس وتكشف عدوان بني أمية على عترة رسول الله (صلى الله عليه واله) فهيجت مشاعر الناس وألهبت الجماهير ضد يزيد وبنية أمية مما جعل عمرو بن سعيد والي المدينة يكتب إلى يزيد خوفا من غضب الناس فقال له: «إني أخاف على ملك الأمويين من زينب بنت علي فقد اجتمع الناس حولها لقوة بلاغتها وفصاحتها في الحديث معهم «فأمر يزيد بأنْ تغادر زينب المدينة إلى أي ارض أخرى، فذهب الوالي يخبرها بأمر يزيد فقالت له:» قد علم والله ما صار إلينا، قتل خيرنا وسيق الباقون كما تساق الأنعام وحملنا على الأقتاب، فوالله لا خرجنا وإنْ أُريقتْ دماؤنا» ألا أنَّ نسوة من الهاشميات تلطفن معها حتى اقتنعت بالخروج من المدينة، وهكذا اختارت مصر حيث الأرضية المناسبة لحب أهل البيت (عليهم السلام).

فخرجت (سلام الله عليها) في لمّة من نساءها قاصدة مصر حيث شيعة أبيها وحيث الوالي الأنصاري مسلمة بن مخلد الأنصاري الذي يحترم آل البيت أشد الاحترام

. وحينما بلغ الخبر الوالي خرج في جمع من أشراف مصر يستقبلها، فلما بدا الركب لهم في غرة شعبان لعام ٦١ هـ وهي ذات السنة التي استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) في مستهلة العاشر من محرم، استقبلها أشراف مصر بالبكاء والنحيب فها هي زينب أم المصائب والتي أصبح اسمها شعيرة من شعائر البكاء والنياحة وسكنت زينب في بيت الوالي وانشغلت بالعبادة وتلاوة القرآن. ومرت الأيام وازدادت الصديقة توغلا في الابتهال والتهجد حتى كان اليوم الرابع عشر من شهر رجب من العام ٦٢ هـ على هذه الرواية، حيث وافتها المنية ودفنت حيث مرقدها الشريف مزار الشعب المصري، وقبل وفاتها جاءها الوالي وطلب منها أنْ توصي له بنسخة القرآن التي تقرأ فيها فقالت له: إنك لا تستفيد منها فلم يعرف سر هذا الكلام، ألا أنَّ الوالي مات في اليوم الثاني من وفاة الصديقة، وعرف سر كلامها ثم دفن بجوارها حيث أوصى بذلك[٤٨].

النتائج:

لقد لعبت عوامل عديدة كان لها دور كبير في ظهور التشيع في مصر حيث حظيت مصر بمكانة كبيرة عند رسول الله (صلى الله عليه واله) وأهل بيته (عليهم السلام) ويظهر ذلك جلي في أحاديثهم الشريفة مضافاً إليها رغبة المسلمين آنذاك في فتح العديد من بلدان المشرق والمغرب إبان الفتوحات الإسلامية ولذلك كانت مصر أول البلاد الأفريقية التي دخلها الجيش الإسلامي صلحا في عهد الفتوحات الإسلامية وذلك بسبب قربها آنذاك من مركز الخلافة الإسلامية ولقد ضم هذا الجيش في صفوفه آنذاك العديد من العناصر الإسلامية الشيعية البارزة أمثال المقداد بن الأسود الكندي، وأبو ذر الغفاري، وأبو رافع، وأبو أيوب الأنصاري، وهؤلاء ما كانوا يبطنون فكرة التشيع التي كانوا يؤمنون بها منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بل أنَّهم أكيداً كانوا يعلنون عن تشيعهم وموالاتهم لأمير المؤمنين (عليه السلام) جهاراً وبذلك

كانت تلك الفتوحات بداية لبذرة التشيع في مصر، ثم بعد ذلك وخصوصاً في خلافة عثمان بن عفان جاء دور كل من محمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر وهما من خلص الشيعة حيث قدما مصر وعليها عبد الله بن سعد بن أبي سر حوالي عثمان، الذي أثقل كاهل الناس بالضرائب فكان شعرهم (أحلب الدرَّ حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينصرم) فازداد أهل مصر عيباً لعثمان وطعناً عليه ولعب كل من محمد بن حذيفة ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والذي زار مصر في خلافة عثمان بن عفان فكان لهم دور كبير في فضح سياسة الأمويين وإظهار فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد أوغرا صدور الناس على عثمان ودعوا أهل مصر السير إليه وخلعه فأجاب وهم إلى ذلك، وبعد مقتل عثمان بن عفان بايع أهل مصر مع باقي وفود الأمصار الإسلامية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ولقد كانت تربطهم بأمير المؤمنين علاقة (عليه السلام) علاقة حميمة فقد وسطوه قبل ذلك لحل مشكلاتهم مع عثمان وأنصفهم من عثمان فوجدوا فيه العدل ونصرة المظلوم كذلك كانوا يلتقون به في موسم الحج فتعلموا منه أحكام القران وسنة رسول الله (صلى الله عليه واله)، كذلك فقد خرج محمد بن أبي حذيفة من مصر ليلتحق بعلي (عليه السلام) ويبايعه، فنصب له معاوية كميناً وقبض عليه وحبسه في الشام ثم قتله حتى لا ينصر علياً (عليه السلام)، فولى (عليه السلام) عليهم قيس بن سعد بن عبادة زعيماً لأنصار الذي دعا أهل مصر لبيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) فقام الناس فبايعوا، واستقامت له مصر وأعمالها وانتشر التشيع بمصر إلا أنَّ الإمام علي (عليه السلام) عزله بعد ذلك ثم ولى مكانه محمد بن أبي بكر وذلك لحب المصريين له فكان له دور كبير في انتشار التشيع في مصر ومما يدل على ذلك هو كتاب عمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان عند قتل محمد بن أبي بكر وكناية بن بشر حيث قال: «أما بعد فإن القينا محمد بن أبي بكر وكناية بن بشر في جموع من أهل مصر، فدعوناهم

إلى الكتاب والسنة فعصوا الحق وتهوكوا في الضلال، فجاهدناهم فاستنصرنا الله عليهم فضربا لله وجوههم وأدبارهم ومنحنا أكتافهم، فقتل محمد بن أبي بكر، وكنانة بن بشر، والحمد لله رب العالمين والسلام»، حتى جاءت واقعة كربلاء الأليمة وما جرى فيها من ماسي على بيت النبوة لتلتحق بطلة كربلاء زينب بنت علي بن أبي طالب (عليهما السلام) إلى مصر بعد مضايقة السلطة الأموية لها، فكانت (عليها السلام) مركز إشعاع لنشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) في ذلك البلد ومركز استقطاب ينتهل منه العلماء الأحكام ومبادئ الشريعة حتى ذاع صيتها في البلاد إلى أنْ وافتها المنية (سلام الله عليها) ودُفنتْ في ذلك البلد على قول بعض الروايات ويصبح مزارها قبلة لشيعة مصر ويطلق عليه بمقام السيدة. والحمد لله رب العالمين...

الهوامش

١- ابن الحكم المصري، عبد الرحمن بن عبد الله، (ت 25هـ)، فـتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، 1996م، ص٥٢.

٢- الحاكم النيسابوري، أبـي عبد الله، (ت 405هـ)، المستدرك، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ج٤، ص٤٤٨.

٣- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، (ت 774هـ)،البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998م، ج٦، ص٢١٥.

٤- الحر العاملي، محمد بن الحسن، (ت1104هـ)، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة، 1372هـ،ج١٥، ص١٣٢

٥- ابن الحكم، فتوح مصر، ص٥١ .

٦- الهمذاني، أحمد بن محمد، (ت340هـ)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي،عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع

،بيروت، 1996م، ص١٣٠.

٧- البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت279هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956م، ج١، ص٢٥٧.

٨- آل عمران: 64.

٩-الأحمدي الميانجي، علي، مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله)، دار الحديث، 1998م، ج٢، ص٤١٦.

١٠-ابن الحكم، فتوح مصر، ص١١٨.

١١-ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد، (ت656هـ)، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة،1967م، ج3، ص ٢٧.

١٢- الثقفي، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، (283هـ)، الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مطبعة بهمن، طهران، 1395هـ، ج ١، ص 288.

١٣-الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، (ت942هـ)، سبل الهدى والرشاد،تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج١٠، ص٣٧٠ .

١٤- الحر العاملي، الوسائل، ج٢٥، ص٣٧٢.

١٥-الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب،(ت٣٢٩هـ)، الكافي، تح: علي اكبر غفاري، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٧هـ، ج٦، ص٣٩١ .

١٦- الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ)،الخصال، تح: علي اكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٣هـ، ص ٢٩١ .

١٧- الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن،(ت٤٦٠هـ)، الغيبة،تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة،١٤١١هـ، ص٤٧٦.

١٨-المفيد، محمد بن محمد بن نعمان،(ت413هـ)،الإرشاد ،مؤسسة آل البيت (عليهم

السلام)، دار المفيد للطباعة والنشر ،ط٢،بيروت، 1993م،ج٢،ص٣٧٦ .

١٩- الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، كتابه كمال الدينوتمام النعمة، تح: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، قم، 1405هـ، ص564.

٢٠-اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، (ت292هـ)، تاريخ اليعقوبي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٤م، ج ٢، ص ١٤٧.

٢١- الطبري، محمد بن جرير،(ت310هـ)، تاريخ الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة ، 1969م، ج ٣، ص ١٩٩.

٢٢- ابن الحكم، فتوح مصر، ص ١٥٢.

٢٣- ياقوت الحموي، شهاب الدين الحموي أبي عبد الله، (ت 626 هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م، ج4، ص٢٦٤.

٢٤- الأتابكي، يوسف بن تغري، (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.ج١، ص10.

٢٥- البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت 279هـ)، أنساب الأشراف، تح: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، 1959م، ج٢، ص٢٨٨.

٢٦- ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج2، ص 67.

٢٧- الهمذاني، البلدان، ص١١٦.

٢٨- ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج1، ص 174.

٢٩- البلاذري، فتوح البلدان، ج١، ص٢٥٤.

٣٠- الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج 3، ص 452.

٣١- ابن عساكر، علي بن الحسن، (ت 571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تح: عليشيري، دار الفكر، بيروت، 1995 مج49، ص 427.

٣٢- الصدوق، الخصال، ص 378.

٣٣- الدينوري، أبو حنيفة احمد بن داود، (ت 282هـ)، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، 1960م، ص١٣٩.

٣٤-ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1965م، ج٣، ص٩١.

٣٥- الاتابكي، النجوم الزاهرة،ج 1، ص 231.

٣٦- الأتابكي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٢.

٣٧- الواقدي، محمد بن عمر، (ت207هـ)، فتوح الشام، دار الجيل، بيروت،ج2، ص222

٣٨- البلاذري، الأنساب، ج٥، ص٥٤١.

٣٩- ابن حجر، الإصابة، ج٦، ص١٠.

٤٠- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت460هـ)، رجال الكشي، تح: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، 1404هـ،1،

ص286.

٤١- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، (ت852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ج6، ص 11.

٤٢- الأميني، محسن،(ت١٣٩٢هـ)، الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٧٧م، ج٩، ص145.

٤٣- الفتال النيسابوري، زين المحدثين محمد، (ت 508هـ)، روضة الواعظين، تحقيق: تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم، ص 133.

٤٤- الأتابكي، النجوم، ج١، ص٩٥.

٤٥- ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج٦، ص89.

٤٦- الثقفي، الغارات،ج١،ص 290 0

٤٧- أحمد أبو كف، آل بيت النبي(ص) في مصر، دار المعارف، مصر، 1983م، ص45

٤٨- المدرسي، محمد تقي، الصديقة زينب(ع) شقيقة الحسين(ع)، دار البصائر، طهران، 1416 هـ، ص92.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الأتابكي، يوسف بن تغري، (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

٢. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1965م.

٣. الأحمدي الميانجي، علي، مكاتيب الرسول (صلى الله عليه وآله)، دار الحديث، 1998م.

٤. الأميني، محسن، (ت1392هـ)، الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، 1977م.

٥. البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت 279هـ)، أنساب الأشراف، تح: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، 1959م.

٦. البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت279هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956م.

٧. الثقفي، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، (283هـ)، الغارات، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مطبعة بهمن، طهران، 1395هـ .

٨. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت 282هـ)، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، 1960م.

٩. الحاكم النيسابوري، أبي عبد الله، (ت 405هـ)، المستدرك، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت.

١٠. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، (ت852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

١١. ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد، (ت656هـ)، شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.

١٢. الحر العاملي، محمد بن الحسن، (ت1104هـ)، وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة، 1372هـ 0

١٣. ابن الحكم المصري، عبد الرحمن بن عبدالله، (ت 25هـ)، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، 1996م.

١٤. الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، (ت942هـ)، سبلالهدبو الرشاد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م

١٥. الصدوق، محمد بن علي (ت381هـ)، الخصال، تح: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، 1403هـ.

١٦. الصدوق، محمد بن علي (ت381هـ)، كتابه كمال الدين وتمام النعمة، تح: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، قم، 1405هـ،

١٧. الطبري، محمد بن جرير، (ت310هـ)، تاريخ الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1969م، ج 3، ص199.

١٨. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت460هـ)، رجال الكشي، تح: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، 1404هـ.

١٩. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت460هـ)، الغيبة، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، 1411هـ

٢٠. ابن عساكر، علي بن الحسن، (ت 571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1995م.

٢١. الفتال النيسابوري، زين المحدثين محمد، (ت 508هـ)، روضة الواعظين، تحقيق: تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم.

٢٢. ابن كثير، إسماعيل بن كثير، (ت 774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998م.

٢٣. أبو كف، أحمد، البيت النبي (ص) في مصر، دار المعارف، مصر،1983م.

٢٤. الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب، (ت329هـ)، الكافي، تح: علي اكبر غفاري، ط، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1367هـ،

٢٥. المدرسي، محمد تقي، الصديقة زينب(ع) شقيقة الحسين(ع)، دار البصائر، طهران، 1416 هـ0

٢٦. المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، (ت413هـ)، الإرشاد، مؤسسة آل البيت (عليهم

السلام)، دار المفيد للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1993م.

٢٧. الهمذاني، أحمد بن محمد، (ت340هـ)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.

٢٨. الواقدي، محمد بن عمر، (ت207هـ)، فتوح الشام، دار الجيل، بيروت.

٢٩. ياقوت الحموي، شهاب الدين الحموي أبي عبد الله، (ت 626 هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م.

٣٠. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، (ت292هـ)، تاريخ اليعقوبي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، 1964م.